

الفصل الرابع عشر

تغطية أخبار غير الرسميين

يستطيع المسئول الحكومي الذي يتلقى مرتبه من أموال دافعي الضرائب أن يتجنب وسائل الإعلام إذا شاء ذلك، إلا أنه يعرض نفسه لنقد شديد - إن هو فعل ذلك - عندما يتعلق الموضوع بأمور تؤثر في الجمهور. وعندما تتصل بمسئول.. فأنت على قدر معين من الصواب، وأي شخص يدفع له من مال الشعب، هو أحد محاور الشد والجذب بين الصحافة والحكومة.

وعندما تغطي أخبار أناس خارج السلطة.. فإن ححك في المرور إليهم يكون أقل وضوحاً، فيستطيع الفرد - إذا أراد - ببساطة أن يرفض التحدث معك.. إنه يستطيع أن يقول إنه مواطن خاص، ويرغب في أن يظل كذلك، وإذا حاولت انتهاك هذه الخصوصية، دون إذنه.. فإنه يستطيع أن يقاضيك.

ومع ذلك.. ففي بعض الأحيان يكون المواطن الخاص، شخصية عامة أيضاً. وفي هذه الحالة يكون حقه في الخصوصية أقل من غيره، وعندما يقبل المرء دوراً قيادياً في أحد المجالات غير الحكومية مثل قطاع الأعمال والتعليم.. فإنه يخرج من نطاق المواطن العادي، وقد يغفر للمندوب إذا زاد من درجة الإصرار والجرأة في ملاحظته. ويحتاج كثير من الصحافة التليفزيونية من المندوب أن يجري مقابلات مع مواطنين، لا يؤدون دوراً رسمياً أو عاماً، وينتمى هؤلاء المواطنون إلى مستويات تعليمية، وخبرات وأجناس مختلفة، تتباين معتقداتهم ومواقفهم. ولا بد أن يتعلم المندوب كيف يتعامل مع كل واحد منهم، ويستخرج منه المعلومات التي يريدتها.

وموقف المندوب هو العامل الأول في تحديد مدى نجاحه في إقناع الشخص، الذي يقابله في أن يتحدث، وأن يكون حديثه أميناً حراً.

ويلجأ بعض المندوبين إلى الجعجة والتخويف؛ لإقناع الناس بالتحدث أمام الكاميرات؛ فهم يندفعون والميكروفون في أيديهم ويوجهون أسئلة تتجاوز حدود الأدب إلى حد الإهانة أحياناً، ويحبون أن يكون استفسارهم بلهجة شديدة، على أمل أن هذا الأسلوب كفيل بإظهار الحقيقة. وغالباً.. فإن الذي يظهر - في هذه الحالة - ضرب من الانفعال وليس المادة الإعلامية؛ فالشخص الذي يتعرض لمثل هذا الموقف إنما يؤخذ على غرة، ويحتمل أن يظهر في صورة سيئة من الغضب أو ضيق الصدر.

ويستمتع بعض المندوبين عندما يُضيقون الخناق على الآخرين، ويدفعونهم إلى وضع سيء؛ لأن ذلك يظهرهم أهل شكيمة لا ينزحجون. ومن المؤسف أن بعض القيادات التليفزيونية توافق على هذا السلوك، بل وتشجعه، على أساس أن مندوبيهم يصبحون بذلك من الشخصيات التي لا تنسى، والتي تجذب المشاهدين. ومن العسير أن تجد صلة لهذا السلوك بواجبات ومسئوليات المندوب؛ من حيث إعلام الجمهور.

ومع ذلك ففي بعض الأحيان.. يستلزم الأمر أن تكون شديداً وحاسماً؛ فلو أن شخصية مهمة كانت تتجلبك أو تقيم الحواجز دونك.. فقد تجد نفسك مضطراً لأن تلجأ إلى تكتيكات حرب العصابات. إلا أنه ينبغي إخبار هذه الأساليب للأخبار المهمة والمعلومات الجوهرية، التي لا يمكن الحصول عليها بطريقة أخرى. وحتى في هذه الحالة.. لا بد أن تكون على مستوى أخلاقيات المهنة، وتعامل مصدرك بتقدير واحترام يليقان بمركزه.

وعلى الطرف المناقض لهذا الإجراء.. يسهل جداً إحباط بعض المندوبين عن متابعة المقابلة، فينسحبون بمجرد سماع كلمة «لا»، وتضيق منهم فرص كثيرة ممتازة. وفي بعض المناسبات.. لا تتعدى كلمة «لا»، أن تكون رد فعل عفوي، وقد تكون تعبيراً عن الخجل. وقد يقول المواطن: من، أنا؟ ولماذا أنا؟ ويصرفك، ويقليل جداً من المثابرة.. قد تستطيع أن تقنع هذا الشخص نفسه بالموافقة، وأنه يستحق الاهتمام.

ومن الواضح أن هناك أنواعاً كثيرة من المقابلات والمواقف الإخبارية، بقدر ما هناك من أخبار. وعلى المندوب الجيد أن تكون لديه حساسية فائقة، إزاء الاختلافات الدقيقة بين الظروف وسلوك الأشخاص أيضاً. وقد يكون المدخل أنك تريد أن تتعلم من تحدثه، أو أن تقنعه بأنه مهم وأن ما يقوله يُعَدُّ به، أو أن تعزف على رغبتة في أن يشكل الأحداث مع أنه يبدى شيئاً آخر. وقد تقنعه بلطف أنه عندما يتحدث.. إنما يؤدي خدمة عامة ويساعد الآخرين. باختصار.. يجب أن تكون - إلى حد ما - طبيباً نفسياً تبحث عن مفتاح.

وتذكر أن الكاميرا في حد ذاتها يمكن أن تكون مصدر تخويف. واحتمال مواجهة الكاميرا في مقابلة مسجلة أمر يخيف الشخص، الذي لم يألف معدات التصوير والفنيين، أو البوح بما في نفسه على هذا النحو. وحتى تمهد الطريق لمن تحدثه.. كن لطيفاً ودوداً مسالماً، واجتهد في إقناعه بأن الموقف ليس صعباً إلى هذا الحد.

وتذكر أن حقيقة كونك مندوب تليفزيون، وربما ذو وجه مألوف لمن تحدثه، قد يصيبه بالتجمد فلا يطق. فليست روبين سميث الإنسانية، وإنما مندوبة التليفزيون، ولذلك.. فإن مهمتك أن تقدمي نفسك كمخلوق عادي مجرد من الأبهة، ولم يهبط من علياء التليفزيون. وحتى تحققي المودة.. فإنك في حاجة إلى أن تتذكرى أن المندوبة التي أحاطت بها شهرتها ولاستطيع أن تتغافل عنها، يمكن أن تدمر قدرتها على التحدث إلى المواطنين على اختلاف ألوانهم ومشاريهم.

لا تتعال في حديثك مع الناس، ولا تنظر إليهم من أعلى، وكأنهم شيء أدنى. إنك في حاجة إلى أن تكون بسيطاً في حديثك، مباشراً بعيداً عن النقع الأكاديمي؛ حتى يستطيع الناس أن يفهموا ما تقول. وفي الوقت نفسه كن حريصاً ألا تنغطرس أو تفرض الوصاية؛ فالمواطن العادي أحسن كثيراً مما تعتقد.

وأول ما يجب عليك أن تحاوله، طمأنة محدثك. ويجري هنا شيء من المرح وروح الدعابة، وكذلك شعورك أنت أيضاً بالارتياح. فإذا كنت في عجلة وقلق.. فإن توترك ينتقل إلى من تتحدث معه، وستلحقه العصبية هو أيضاً. إنك بحاجة إلى أن تقيم الرباط الإنساني بينكما على النحو الذي يتيح لكما أن تتواصلا وتحدثنا بارتياح وروية مثمرة.

إن مهمتك تستدعي أن تستخرج ما لدى الشخص الذي تحدثه، ولكن يجب أن تكون حريصاً ألا توجهي إليه بالأفكار أو تلقنه ما يقول، أو تضع الكلمات في فمه.. فهنا يكمن الخطر، فأنت وقد تدبرت الموقف سلفاً في رأسك أو خططته وتمثلت كيف يكون الخبر، والفقرة التي تريدها من محدثك.. فإنك تصر عليها حتى لو كانت خلاف ما يريده.

وهذه هي أسوأ حالات الصحافة التلفزيونية. فجة، خادعة. ولاشك أنك رأيت شيئاً من هذا يحدث على الهواء. المندوب يقول:

إنك تشعر بالغضب. أليس كذلك؟ نعم.

وتريد أن تنتقم منه؟ نعم.

وستجد طريقة للنيل منه؟ بكل تأكيد.

والخطأ هنا هو أن المندوب، كما يفعل بعض المحامين، يقود الشاهد؛ فهو يشكل أسئلته على نحو يغري محدثه بمسايرته. كما أن الأسئلة مصاغة؛ بحيث يكون الرد عليها «نعم، أو لا»؛ بدلاً من الإيضاح الكامل بالتعبير الحر.

ويمكن الحصول على المعلومات نفسها لو طرحت الأسئلة على النحو التالي: ماذا تشعر؟ وماذا تريد أن تفعل؟ وما الذي ستفعله؟ فلو أن من تحدثه غاضب ويدبر للانتقام، فقد عرف المندوب ذلك، ولكن بأسلوب أكثر حيطة وأمانة وهو يختلف عن الطرح الأول.

وقد تحدث مفاجأة؛ فقد لا يكون الشخص الذي تحدثه غاضباً وربما تكون الحقيقة أنه يشعر بالإشفاق أو الأسف، وربما يكون قد عفا. وستقلب هذه الإجابة غير المتوقعة خطط المندوب رأساً على عقب؛ فهنا يواجه المندوب بحقيقة أن الخبر ليس نصاً مكتوباً كما في المسرحيات، والطبيعي أن يتابع المندوب الخبر كما يحدث وليس كما يتصور.

ويصر بعض المندوبين على تشكيل الخبر بالفيديو كما يريدون؛ بحيث يجرون «بروفات» على مقاطع من المقابلة أو الحدث نفسه، ويقعون أسرى للوسيلة، ولتذهب إلى الجحيم أمانة الرسالة. وهذا مسلك غير أخلاقي، ويستدعي رفض الخبر في محطات التلفزيون الأكثر احتراماً.

ومع ذلك.. فإن بعض نقاد أخبار التلفزيون يبالغون كثيراً في مسألة البروفة أو الإعادة، فليس أمراً مرفوضاً في كل الأحوال أن تطلب إلى محدثك اختصار الإجابة على نفس السؤال، الذى قد تكون سألته من قبل. فأنت لا تضع الكلمات فى فمه ولا تغير مما يقول. وإنما تطلب إليه أن يعيد ما يقول، ولكن باختصار، تماماً كما تطلب من الكاتب الصحفى أن يختصر بحسب المساحة المتاحة، فلا ضير فى ذلك مادمت لا تطلب تغيير المضمون.

ويميل المندوب العادى إلى التعاطف مع الشاب الصغير، ولا خطأ فى ذلك ما دام لا يؤثر فى الموضوعية المهنية. وكل ما عليك أن تتحرى صدق المعلومات، حتى لو جاءت من مصدر تتعاطف معه. وأنت تعرف أن الشبان الصغار يكذبون حتى يجمعون صورتهم أمام الكاميرا، ولا بد أن تطبق معياراً صارماً فى قياس مدى صدقهم، تماماً كما تفعل مع أصحاب المناصب الكبيرة.

كيف تستطيع ذلك دون أن تخيف من تحدته؟ عليك أن تطلب التحديد والدليل والبرهان، ولكن دون أن تبدو ممثلاً للإدعاء أو وكيلاً للنيابة. والأسلوب المناسب هو: سيدتى.. إننى أقوم بواجبى فقط...

وللتعميمات والآراء مكانها فى الأخبار، إلا أن الحقائق والأمور المحددة هى خلاصتها. وكثيراً ما يهتم التلفزيون بالصخب والانفعال الفارغ، ولكن يظل الخبر المفصل المقنع بالدليل، هو الذى يزيد فهم الجمهور، ورصيده من المعرفة.

وأقولها ثانية.. عليك أن تتذكر لماذا تفعل ما تفعل. وليس من أهدافك أن تنحاز إلى الشاب الصغير أو المسئول الكبير. فهدفك الاستجلاء، وكشف الأكاذيب الدقيقة، وإلقاء الضوء على الجوانب المظلمة. عليك توجيه الأسئلة النافذة، الأسئلة السديدة، لتدفع محدثك أن يواجه حقائقه بدلاً من أمانيه.

ويحلو لبعض الأشخاص أن يلعبوا دور الضحية. ومن الأسهل على المرء أن يلوم والديه أو ظروفه، وربما المجتمع كله، بدلاً من أن يلوم نفسه، وليس من الشائع فى هذا الزمن أن يحمل المرء نفسه بعض المسؤولية فيما يواجهه من أزمات. وتستند معظم الأخبار على افتراض أن كل

حدث ليس وراءه سوى سبب اجتماعي، وقد يدفع هذا الفهم بالمندوب إلى البحث عن كبش فداء رسمي، في حين تكون الحقيقة غير ذلك.

ولو سألت مواطناً عادياً يواجه مشكلة: على من يقع اللوم؟ فإنه يجد من يلوم أو ما يلوم. ولكنك لو سألته بدلاً من ذلك - تقريراً مفصلاً - كيف وصل إلى ما هو فيه، وماذا فعل، وما لم يفعل؟ فمن المحتمل - عندئذ - أن تصل أكثر إلى الحقيقة. وليس ذلك اعتراضاً على القضية المنطقية في أن كثيراً من المشكلات الشخصية ينشأ لأسباب اجتماعية وسياسية. وكل ما في الأمر ألا تفترض ابتداءً أن السبب الاجتماعي هو العامل الأول في كل موضوع. إن الحياة أكثر من ذلك تعقيداً، ونحن إنما ننتقص من استقلالية الفرد وكيانه، عندما نحوله إلى مجرد وليد للقوى الاجتماعية.

وللتلفزيون قوة هائلة في كشف فردية البشر، وتعدّد العالم الحقيقي، والطريقة التي تتفاعل بها القوى الاجتماعية مع الفرد. إن المندوب الذي يتعامل مع المواطن العادي؛ بحثاً عن كبش فداء اجتماعي، إنما يبالغ في تبسيط الحقيقة. إن الإحساس الذكي المتوازن بسلطان العوامل السياسية والاجتماعية وحدودها في إحداث التغيير، سوف يساعد المندوب على تحقيق النصيح والمسئولية في عمله.

إن درجة التشكك المناسبة يمكن تطبيقها على كل من تتصل بهم، حتى من يزعمون أنهم فوق النقد، وأنهم من الرموز المقدسة. كما أن الاعتقاد بأن حل المشكلات يستلزم إنفاق أموال طائلة هو نقطة في الموضوع.

وأفضل المندوبين هو من يتخذ موقفاً وسطاً بين التحرر والتحفظ... إنه يرى أن الأمور تتحول وتتبدل، وأن الأفكار القديمة التي سادت زمناً لم تعد صالحة، وأن ثمة نظرة أخرى قد جددت. وإذا أراد أن يحسن عمله.. فليجرد نفسه من العقلية الجماعية، ويثير الأسئلة التي تهاجم القضايا والمشكلات من زوايا مختلفة غير متوقعة؛ متوجهاً بها إلى المواطن العادي، أسوة بالمسئول العام.

ويتضح لك مما سبق.. أن التعاطف مقبول ولكن دون انحياز؛ فالمندوب ليس أداة لفلسفته أو فلسفة غيره. وفي معرض قياسه لما هو قائم بما هو ممكن.. فإنه يحتاج إلى الالتزام في المقارنة بحدود ما هو ممكن. وفي العالم الفاضل، أو عالم الكمال.. لا مكان للألم أو الفقر أو

البطالة أو الحزن، ولكن العالم ليس كاملاً وكذلك الناس. ومهمة المندوب أن يُعلم عن الأحداث، وأن يشرحها ولكن بوعى وواقعية. إن عدداً قليلاً جداً من القضايا ينقسم بوضوح بين جانب مطلق في خيره وآخر مطلق في شره؛ فهناك صراع في كل جانب.

ويحتاج المندوب في التعامل مع الناس أن يفهم إلى أى شئ ينتمى الشخص، ومن أين هو قادم، وأن يحترم حقيقة أن قيم هذا الشخص ونظرته إلى العالم قد تختلف اختلافاً جوهرياً مع ما يراه هو. وفي الوقت نفسه.. لا بد أن يدرك المندوب أنه من الأسهل على محدثه أن يشن هجوماً كلامياً عن أن يقدم حلولاً محددة. وتقتضينا الصحافة الجيدة أن نتحول من الكلام السطحي السهل إلى إيضاح البدائل والخطوات اللازمة لإحداث التغيير. وسوف يطلب المندوب التلفزيوني الجيد من محدثه أن يواجه مشكلات الطرف الآخر، ويوضح كيف يمكنه التعامل معها.

كذلك.. يحتاج المندوب إلى أن يتلمس مصدر غضب من يحدثه. وفي بعض الأخبار.. يكون الهدف المختار هو الأسهل أو الأقرب، في حين قد تكون الحقيقة هي أن الفرد غاضب من نفسه؛ لأنه لم ينجح. ومن الواضح أنه لا بد من تقييم المصادر التي يتوجه إليها المندوب؛ للتحري في موضوع أو خبر. ويستهرى أخبار التلفزيون - بالذات - أن تتجه إلى الشخص الأنصح والأعلى صوتاً والأكثر استعداداً، وهكذا.. تسبق الحاجة إلى المظهر، الحاجة إلى الحقيقة. وغالباً ما يؤثر التلفزيون الأكثر تطرفاً؛ لأن ذلك يبسط الأمور، ويوضحها بالضرورة. إن الأخبار التي تعتمد على: إنه قال هذا ولكنها قالت ذلك، تنطوي على تكثيف وطابع درامي، إلا أنه مالم يعقبها إيضاح، يكشف عن مواطن الفشل والزلل، ومجالات الحلول الوسط.. فإنها تنتهي إلى الخضوع للعاطفة دون العقل وتسيء إلى الجمهور.

وفي بعض الأحيان.. تصادف شخصاً يهاجم النظام، وعادة ما تكون الشكاوى ضد النظام عامة جداً، وهلامية، غير محددة المعالم. وقبل إذاعة مثل هذه الشكاوى.. عليك أن تسأل محدثك أن يحدد ماذا يعنى بالنظام، وأن يحدد أى قطاع فيه، هو المفتر إلى الإنصاف، وكيف يمكن أن يتصرف لو أمكن له ذلك. وإياك أن تقلل من قوة المقابلة التلفزيونية، في حمل المتحدث على أن يرى ثقب قضيبته، أو فحص ما ينطوى عليه موقفه. وينطبق هذا

على المواطن العادي كما ينطبق على المسؤولين. ولا بد لكل من يشارك في برنامج إخباري بالتلفزيون أن يكون قد راجع موقفه.

ولا بد أن تكون لدى المندوب قدرة على أن يميز بين المهم، وبين المحوري في الموضوع، وأن يقود محدثه في هذا الاتجاه. ومن السهل جداً - في التلفزيون خصوصاً - الرضا بحلاوة اللسان والقشور المبهجة، وترك صلب الموضوع دون أن يمس. وقد تكون هناك ثروات مذهلة وكامنة، دفينة في عقول المواطنين العاديين وقلوبهم، لا تستلزم منك للكشف عنها إلا أن تسأل. وكتاب ستندز تيركل Studz Terkel الرائع «العمل، تأكيد لهذه الحقيقة.. إن التعليقات القيمة لعمال الصلب والمضيفات والبائعين، والمواطنين العاديين من كل آفاق الحياة تبين ما يمكن أن تكشف عنه الصحافة الجيدة والمقابلات الذكية. لا بد أن تعمل لإزاحة الغيوم، وأن تنفذ إلى ما وراء الخرافة، وأن تسعى إلى المفهوم الأوسع لما يقال لك.

ومن بين جوائزك - كصحفي - أنك تتعلم باستمرار، ومن المهم أن يكون لك عقل مفتوح دائماً، وأن تتوفر لديك الرغبة لاقتفاء أثر المعلومات التي لم تتوقعها ولم ترد سماعها. ولدى بعض المندوبين أفكار مسبقة عن الشاب الطيب والشاب الشرير، ومن ثم.. يقعون فيما أسماه وليام سافير William Safire أحد كتاب الأعمدة في صحيفة نيويورك تايمز New York Times «الانتقاء الاختياري للخطأ»؛ لأن ما تعلم عنه، عندئذ يكون ثنائي المستوى؛ حيث يهاجم المندوب من يعتقد أنهم لا يستحقون، ويميل مع من يعتقد أنهم يمثلون الجانب الطيب. وهنا يحدث القصور في فهم حركة المجتمع؛ لأن المشاهد يحصل على صورة واحدة من العالم الحقيقي، تمثل المفهوم الشخصي للمندوب، وبالقطع ليست هذه مهمة الصحافة المنصفة.